# نشأة علم نقد الحديث

للدكتور محمد لقمان السلفي *

## ١ ـ الأسباب التي دعت إلى الاهتمام بنقد الحديث :

إن ظهور الإسناد في علم الحديث النبوي كان سببه الأساسي المشكلات التي أثيرت في المجتمعات الإسلامية من قبل بعض الذين دخلوا في الإسلام غير مخلصين ، دخلوا فيه لأهداف ولكنّ بشاشته لم تخالط قلوبهم ، بل كانوا يتحينون الفرص للانقضاض على هذا الدين .

وقد اختاروا لأهدافهم المشبوهة طريقة التظاهر بمحبة الرسول ﷺ وآل بيته الطاهرين ، والكذب عليه صلوات الله وسلامه عليه . وقد وَجَدوا في شمال الجزيرة العربية أرضاً خصبة لزرع الفتن وبثّ السموم وانتحال الكذب فقد قال الرسول ﷺ : **( الفتنة من ههنا : الفتنة من ههنا ، الفتنة من ههنا ، من حيث يطلع قرن الشيطان )**[1] .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن ذكر أهل المدينة وأهل البصرة وأهل الشام وأحاديثهم : وأما أهل الكوفة فلم يكن الكذب في أهل بلد

---

* وردت للكاتب ترجمة في العدد الثالث عشر .

(١) راجع البخاري ٦/كتاب الطلاق ، ٨/٩٥ كتاب الفتن ٤/١٥٣ ، ١٥٦ كتاب المناقب . وصحيح مسلم ٤/٢٢٢٨ ، ٢٢٢٩ ، كتاب الفتن ، باب الفتنة من الشرق ، حديث ٤٥/٤٦/٤٧/٤٨/٤٩/٥٠ ، وترتيب المسند ٢٤/١٨ باب ذكر الجهة التي تجيء منها الفتن . وقد رواه الترمذي من طريق الزهري عن سالم عن أبيه وقال حسن صحيح .

أكثر منه فيهم . ففي زمن التابعين كان بها خلق كثيرون منهم ، معروفون بالكذب ، لا سيما الشيعة فإنهم أكثر الطوائف كذباً باتفاق أهل العلم . ولأجل هذا يذكر عن مالك وغيره من أهل المدينة أنهم لم يكونوا يحتجون بعامة أحاديث أهل العراق ، لأنهم قد علموا أن فيهم كذابين ولم يكونوا يميزون بين الصادق والكاذب [(١)] .

وكان الرافضة ينتحلون الكذب على أهل البيت . وبالأخص عبد الله ابن سبأ الذي وضع لهم أن النبي ﷺ نصَّ على عليّ بالخلافة ، وأنه ظلم ومنع حقه . وقال : إنه كان معصوماً . وغرض الزنادقة بذلك هدم الإسلام [(٢)] .

وحدثت بدعة الخوارج المتعلقة بالإمامة والخلافة وتوابع ذلك من الأعمال والأحكام الشرعية . ثم كانت خلافة معاوية رضي الله عنه ووجد في عصره رضي الله عنه ما وجُد من المشكلات والخلافات ، فلما تُوفي معاوية رضي الله عنه جاءت إمارة يزيد ، وجرت فيها فتنة قتل الحسين بالعراق وفتنة أهل الحرة بالمدينة وحصر مكة عند قيام عبد الله بن الزبير .

ثم مات يزيد وتفرقت الأمة : ابن الزبير بالحجاز ، وبنو الحكم بالشام ووثب مختار بن أبي عبيد وغيره بالعراق وذلك في أواخر عصر الصحابة. وحدثت بدعة القدرية والمرجئة فردّها بقايا الصحابة مع ما كانوا يردُّونه من بدعة الخوارج والروافض . وظهر ما قاله النبي ﷺ : **(ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل ولا يستشهد ويحلف ولا يستحلف)** [(٣)] .

---

(١) فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٠/ ٢١٦ .

(٢) الفتاوى ٢٢/ ٣٦٧ .

(٣) الترمذي كتاب الشهادات ٦/ ٥٨٨ وكتاب الفتن ٦/ ٢٨٩ باب في لزوم الجماعة عن عمر بن الخطاب موقوفاً . وقد رواه ابن ماجه مرفوعاً في كتاب الأحكام ٢/ ٧٩١ .

وحدثت ثلاثة أشياء : الميل إلى الرأي ، والكلام ، والتصوف . وحدث التجهم وهو نفي الصفات ، وحدث بإزائه التمثيل .

وكذلك المبتدعة والمنحرفون كانوا يبحثون عن مستندات عن النصوص يعتمدون عليها في كسب أعوان لهم .

وكان جمهور أهل الرأي من الكوفة ، إذ هو غالب على أهلها مع ما كان فيهم من التشيع الفاحش وكثرة الكذب فى الرواية مع أن في خيار أهلها من العلم والصدق والسنَّة والفقه والعبادة أمراً عظيماً . لكن الغرض أنّ فيها نشأ كثرة الكذب في الرواية [1] فقد روي عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري أنه قال : جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضي الله عنها ونحن عندها جلوس ، مرجعه من العراق ليالي قتل عليّ ، فقالت له يا عبد الله بن شداد : هل أنت صادق عما أسألك عنه ، تحدثني عن هؤلاء القوم الذين قتلهم علي ؟ قال : ومالي لا أصدقك ؟ قالت فحدثني عن قصتهم إلى أن قالت : فما قول علي حين قام عليه ، كما يزعم أهل العراق ؟ قال سمعته يقول : صدق الله ورسوله . قالت : هل سمعت منه أنه قال غير ذلك ؟ قال اللهم لا ، قالت : أجل ، صدق الله ورسوله ، يرحم الله علياً إنه كان من كلامه لا يرى شيئاً يعجبه إلا قال : صدق الله ورسوله فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويزيدون في الحديث[2] .

وقد روى ابن سعد عن سليمان بن الربيع أنه دخل هو ونفر من أصحابه من أهل البصرة على عبد الله بن عمرو بن العاص ، فطلبوا منه أن يحدثهم عن رسول الله ﷺ ، فقال لهم : ممن أنتم ؟ قالوا : من أهل

---

(١) راجع الفتاوى ١/٣٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٢) ترتيب المسند ٢٣/١٥٩/١٦٠ أبواب ما جاء في خلافة علي بن أبي طالب .

العراق . قال إن من أهل العراق قوماً يَكذبون ويُكذبون ويسخرون [١] .

وقد قال عبد الرحمن بن مهدي لمالك : يا أبا عبد الله ، سمعنا في بلدكم المدينة أربع مائة حديث في أربعين يوماً ونحن في العراق في يوم واحد نسمع هذا كله . فقال له : يا عبد الرحمن ومن أين لنا دار الضَرب التي عندكم[٢] .

وعن النعمان بن راشد قال : سمعت الزهري يحدث بحديث زيد بن أنيسة فقلت : يا أبا بكر ، من حدّثك بهذا ؟ قال : أنت حدثتنيه ، ممن سمعته ؟ فقلت رجل من أهل الكوفة قال : أفسدته ، إنّ في حديث أهل الكوفة دغُلاً كثيراً[٣] .

وقال الحسن بن الربيع : سمعت ابن المبارك يقول : ما دخلتُ الشام إلا لأستغني عن حديث أهل الكوفة[٤] .

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي : سمعت عبد الله بن إدريس الكوفي[٥] يقول : قلت لأهل الكوفة : يا أهل الكوفة ، إنما حديثكم الذي تحدثونه في الرخصة في النبيذ ، عن العُميان والعُوران والعُمشان ، أين أنتم عن أبناء المهاجرين والأنصار[٦] .

ولم يكن الزنادقة أقل نصيباً في الكذب على الرسول ﷺ فعبد الكريم ابن أبي العوجاء[٧] وضع أحاديث كثيرة بأسانيد يَغْتَرُّ بها من لا معرفة له

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/٢٦٧ .

(٢) منهاج السنّة/٨٨ .

(٣) الجامع للخطيب ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٤) الجامع للخطيب البغدادي ج ٢ ص ٣٤٤ .

(٥) من الثامنة ثقة فقيه عابد ، راجع التقريب .

(٦) السنن الكبرى ٨/٣٠٦ .

(٧) زنديق مغتر قتله محمد بن سليمان العباسي الأمير بالبصرة (راجع ميزان الاعتدال رقم ١٥٦٧ في ٢/١٠٤) .

بالجرح والتعديل . وفي بعضها تغيير أحكام الشريعة وهو الذي أفسد على الرافضة صوم رمضان بالهلال . وردّهم عن اعتبار الأهلة بحساب وضعه لهم ونسب ذلك الحساب إلى جعفر الصادق . ورُفع خبر هذا الضال إلى جعفر محمد بن سليمان عامل المنصور على الكوفة فأمر بقتله فقال : لن يقتلوني ، لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحللت بها الحرام وحرمت بها الحلال وفطّرت الرافضة في يوم من أيام صيامهم وصوّمتهم في يوم من أيام فطرهم[1] .

واشتهرت كذلك المشبهة الحشوية في وضع الحديث [2] وكذلك النظام المعتزلي طعن في أخبار الصحابة والتابعين من أجل فتاويهم بالاجتهاد وعاب أصحاب الحديث وروايتهم أحاديث أبي هريرة . وزعم أن أبا هريرة كان أكذب الناس . وطعن في الفاروق عمر رضي الله عنه ، وزعم أنّه شك يوم الحديبية في دينه ، وما إلى ذلك من المخالفات التى حكاها عنه المؤرخون في أخبار الصحابة وفي أهل بيعة الرضوان[3] .

## ٢ ـ صغار الصحابة يحتاطون في قبول الحديث :

ولذلك نجد أن صغار الصحابة الذين رأوا شيوع الكذب في الحديث النبوي أخذوا يحتاطون ويشددون في قبوله . فقد روى لنا مسلم في مقدمة صحيحه عن قيس بن سعد عن مجاهد قال : جاء بشير العدوي[4] إلى ابن عباس فجعل يحدث ويقول : قال رسول الله ﷺ . قال رسول الله ﷺ ،

---

(١) الفرق بين الفرق/ ٢٧٤ .

(٢) الملل والنحل ١/ ٩٦ .

(٣) راجع الفرق بين الفرق ١٤٧/ ١٤٨ .

(٤) مخضرم ثقة من الثانية/ التقريب .

فجعل ابن عباس لا يأذن لحديثه ولا ينظر إليه فقال : يا ابن عباس : مالي لا أراك تسمع لحديثي ، أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع ؟ فقال ابن عباس : إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول : قال رسول الله ﷺ ، ابتدرت أبصارنا وأصغينا إليه بآذاننا ، فلما ركب الناس الصعب والذلول لم نأخذ من الناس إلا ما نعرف[١] .

وقال ابن أبي حاتم حدثنا شعبة عن سمان عن عكرمة سمع ابن عباس يقول إذا حدثنا ثقة عن علي فُتيا لم نَعْدُه[٢] .

وقد أخرج مسلم في مقدمة صحيحه أيضاً عن محمد بن سيرين أنه قال : لم يكونوا يسألون عن الإسناد ، فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم[٣] . وابن سيرين من كبار التابعين ، وقد استعمل صيغة الجمع للماضي البعيد فلا يكون قصده إلا الصحابة الذين شاهدوا الفتن ورأوا شيوع الكذب .

ولذلك شاعت في زمنهم هذه القاعدة : إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذونها[٤] .

ومن الدليل على استفحال الأمر وشيوع الكذب على الرسول ﷺ والدعوة العامة إلى الاحتياط في قبول الحديث ما رواه لنا مسلم في مقدمة صحيحه أيضاً عن ربعي بن حراش أنه سمع علياً رضي الله عنه يخطب قال : قال رسول الله ﷺ : **( لا تكذبوا عليّ فإنه من يكذب عليّ يلج النار )**[٥] .

---

(١) مقدمة مسلم/١٣ .

(٢) الجرح والتعديل ج ١ ق ١ ص ٢٧ .

(٣) مقدمة مسلم/١٥ .

(٤) أخرج ذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل عن عدد من التابعين ١/١/١٥ وقد رواه مسلم بلفظ : إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم . المقدمة/١٤ .

(٥) مقدمة مسلم/٩ .

فإن ربعي هذا تابعي كبير من الكوفة والغالب على الظن أنه سمع علياً يخطب في الكوفة .

وقال مسلم : حدثنا علي بن ربيعة قال أتيت المسجد والمغيرة أمير الكوفة على المنبر ، قال فقال المغيرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : **(إن كذباً عليّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)**[1] .

وقد ذكرنا في بحث ( البوادر الأولى لنقد الحديث ) أن عدداً من الصحابة تكلموا في الجرح والتعديل منهم : عبد الله بن عباس ( ٦٨ هـ ) وأنس بن مالك ( ٩٢ هـ ) وعائشة ( ٥٢ هـ ) وعمران بن حصين ( ٥٢ هـ ) وأبو هريرة ( ٥٩ هـ ) وعبد الله بن عمرو بن العاص ( ٦٥ هـ ) وعبد الله بن عمر ( ٧٣ هـ ) وأبو سعيد الخدري ( ٧٤ هـ ) .

## ٣ ـ نقد الحديث في دور التابعين :

ثم جاء دور كبار التابعين ، وخلفوا هذا العلم من الصحابة ، وسلكوا مسلكهم واختاروا سنَّة نبيهم وسنَّة أصحابه ورفعوا هذا الصرح بوضع لبنات أخرى ، لئلا يجترئ كذاب أو منافق أو ملحد من إدخال المكذوبات في السنن النبوية الطاهرة الزكية ، وخصوصاً بعد أن وُجدت فرق ضالة مضلة وآراء ملحدة في دين الله ، ومنافقون ظاهروا النفاق يريدون أن يبثوا سمومهم ويجعلوا من هذا الأصل الإسلامي الثاني ظلاماً حالكاً لا يرى فيه الحق من الباطل .

قال السخاوي :[2] وتكلم في الرجال ، كما قاله الذهبي ، جماعة من

---

(١) المرجع السابق/ ١٠ .

(٢) فتح المغيث ٢/ ٣١٨ .

الصحابة ثم من التابعين كالشعبي وابن سيرين ولكنه في التابعين بقلة ، لقلة الضعف في متبوعيهم ، إذ أكثرهم صحابة عدول وغير الصحابة من المتبوعين أكثرهم ثقات . ولا يكاد يوجد في القرن الأول الذي انقرض في الصحابة وكبار التابعين ضعيف إلا الواحد بعد الواحد كالحارث الأعور[١] (٦٥ هـ) والمختار الكذاب (٦٧ هـ)[٢] ـ وقال أبو حاتم ابن حبان : ثم أخذ مسلكهم (مسلك الصحابة) واستن بسنتهم واهتدى بهديهم فيما استنوا من التيقظ في الروايات جماعة من أهل المدينة من سادات التابعين منهم : سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد بن أبي بكر وسالم بن عبد الله بن عمر وعلي بن الحسين بن علي وأبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف وعبيد الله بن عتبة وخارجة بن زيد بن ثابت وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وسليمان بن اليسار . فجدوا في حفظ السنن والرحلة فيها والتفتيش عنها والتفقه فيها[٣] .

وقال : ثم أخذ عنه العلم وتتبع الطرق وانتقاء الرجال ، ورحل في جمع السنن جماعة بعدهم ، منهم : الزهري ويحيى بن سعيد الأنصاري وهشام بن عروة وسعد بن إبراهيم في جماعة معهم من أهل المدينة إلا أنَّ أكثرهم تيقظاً وأوسعهم حفظاً وأدومهم رحلة وأعلاهم همةً الزهري ـ رحمة الله عليه[٤] .

ومن المعلوم بالضرورة لكل مطلع على حركة سير الحديث النبوي نحو

---

(١) هو ابن عبد الله الهمداني الأعور من كبار علماء التابعين على ضعف فيه . وقد أخرج له الأربعة ووصفه كل من الشعبي وعلي بن المديني بأنه كذاب وقال ابن حبان : كان الحارث غالباً في التشيع (ميزان الاعتدال ١/٤٣٥ ، ٤٣٧) .

(٢) هو ابن عبيد الثقفي الكذاب لا ينبغي أن يروى عنه شيء لأنه ضال مضل كان يزعم أن جبريل عليه السلام ينزل عليه (ميزان الاعتدال ٤/٨٠) .

(٣) كتاب المجروحين ١/٣٨ .

(٤) كتاب المجروحين ١/٣٩ .

الجمع والتدوين والتمييز والتنقيح ، أنه لم يكن في ذلك العصر خط فاصل بين الجمع والتدوين والنقد والتمييز ، فكل من كان إماماً في الحديث كان مهتماً بالنقد وأصوله ومعرفة أحوال الرواة والانتباه للأسباب والعلل التي كانت تتسبب للوهن في الحديث أو الضعف في الراوي ومروياته .

## ٤ ـ النقد في عصر أتباع التابعين :

ومن هذه الطبقة أخذ كبار التابعين وصغارهم ، فمن الكبار بالمدينة مالك بن أنس (٩٣ ـ ١٧٩ هـ) وبمكة : سفيان بن عيينة (١٠٧/١٩٨ هـ) وبالكوفة : الثوري (٩٧ ـ ١٦١ هـ) وبالبصرة : شعبة (٨٢ ـ ١٦٠ هـ) وحماد بن زيد (٩٨ ـ ١٧٩ هـ) وبالشام : الأوزاعي (٨٨ ـ ١٥٨ هـ) ومن الصغار بالكوفة : وكيع بن الجراح (١٢٧ ـ ١٩٧ هـ) وابن نمير (١١٥ ـ ١٩٩ هـ) وبالبصرة : يحيى بن سعيد القطان (١٢٠ ـ ١٩٨ هـ) وعبد الرحمن بن مهدي (١٢٥ ـ ١٩٨ هـ) وبالشام : أبو إسحاق الفزاري ( ـ ١٨٥ هـ) وأبو مُسمهر (١٤٠ ـ ٢١٨ هـ) وبخراسان : عبد الله بن المبارك (١١٨ ـ ١٨١ هـ) .

ذكر ابن حبان البستي جهود التابعين في حفظ الحديث وتنقيته ثم قال : ثم أخذ هؤلاء مسلك الحديث وانتقاء الرجال وحفظ السنن والقدح في الضعفاء جماعة من أئمة المسلمين والفقهاء في الدين .

ثم ذكر الثوري ومالك بن أنس وشعبة والأوزاعي وحماد بن سلمة والليث وحماد بن زيد وسفيان بن عيينة وقال : إلا أن من أشدهم انتقاء للسنن وأكثرهم مواظبة عليها حتى جعلوا ذلك صناعة لهم لا يولونها بشيء آخر ثلاثة أنفس : مالك والثوري وشعبة[1] .

(١) كتاب المجروحين ١/ ٤٠ .

وقال : ثم أخذ عن هؤلاء بعدهم الرسم في الحديث والتنقير عن الرجال والتفتيش عن الضعفاء والبحث عن أسباب النقل جماعة . ثم ذكر ابن المبارك ووكيع بن الجراح وعبد الرحمن بن مهدي ومحمد بن إدريس الشافعي وقال : إلا أن من أكثرهم تنقيراً عن شأن المحدثين وأتركهم للضعفاء والمتروكين ـ حتى جعلوا هذا الشأن صناعة لهم لم يتعدوها إلى غيرها مع لزوم الدين والورع الشديد والتفقه في السنن ـ رجلان يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي[١] .

فمن جرحاه لا يكاد يندمل جرحه ، ومن وثقاه فهو المقبول ومن اختلفا فيه ، وذلك قليل ، اجتُهد في أمره[٢] .

## ٥ ـ نُبذٌ عن الأئمة النقاد في عصر التابعين :

ومن المناسب ذكر نبذة عن كل من الذين مرت أسماؤهم حتى يتبين مدى دورهم ومكانتهم في نقد الحديث .

**أ ـ أما مالك :** فقد كان إماماً في الحديث وقد جرح وعدل . وقال أحمد بن حنبل : مالك أثبت في كل شيء . وقال يحيى بن سعيد القطان : سألت مالك بن أنس عن إبراهيم بن أبي يحيى أكان ثقة ؟ قال : لا ، ولا ثقة في دينه[٣] ـ وقال عبد الرحمن بن قاسم : سألت مالكاً عن ابن سمعان فقال كذاب[٤] ـ وقال ابن وهب : وذكر اختلاف الأحاديث والروايات فقال : لولا أني لقيت مالكاً والليث لضللت[٥] .

وقد وضع رحمه الله منهاجاً دقيقاً لتعديل الرواة وجرحهم . فقد ذكر

(١) كتاب المجروحين ١/٥٢ .

(٢) فتح المغيث ٢/٣١٩ .

(٣) تقدمة الجرح/١٩ .

(٤) المرجع السابق/٢١ .

(٥) المرجع السابق/٢٣ .

الرامهرمزي بسنده إليه يقول : لا يؤخذ العلم عن أربعة ويؤخذ ممن سوى ذلك

١ ـ لا يؤخذ من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه .

٢ ـ ولا من سفيه معلن بالسفه يكذب على رسول الله ﷺ .

٣ ـ ولا من رجل يكذب في أحاديث الناس وإن كنت لا تتهمه أن يكذب على رسول الله ﷺ .

٤ ـ ولا من رجل له فضل وصلاح وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث(١) .

وقد روى الخطيب بسنده قال : كان مالك بن أنس يقول : لا تأخذ العلم عن أربعة ، وخذ ممن سوى ذلك :

١ ـ لا تأخذ العلم من سفيه معلن بالسفه وإن كان أروى الناس .

٢ ـ ولا تأخذ من كذاب يكذب في أحاديث الناس إذا جرب ذلك عليه وإن كان لا يتهم أن يكذب على رسول الله ﷺ .

٣ ـ ولا من صاحب هوى يدعو الناس إلى هواه .

٤ ـ ولا من شيخ له فضل وعبادة إذا كان لا يعرف ما يحدث .

**ب ـ أما سفيان بن عيينة :** فقد قال عبد الرحمن بن مهدي : كان سفيان بن عيينة من أعلم الناس بحديث الحجاز . وقال الشافعي : مالك وسفيان قرينان ، وقال ابن حنبل : ما رأيت أحداً كان أعلم بالسنن من سفيان بن عيينة(٢) .

**ج ـ وأما سفيان الثوري :** فقد قال المبارك : لا أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان الثوري(٣) .

---

(١) المحدث الفاصل/٤٠٣ .

(٢) مقدمة الجرح/٣٢ ـ ٣٣ .

(٣) المرجع السابق/٥٦ .

وقال شعبة : إذا خالفني سفيان في حديث فالحديث حديثه . وقال ابن عيينة : الرجال ثلاثة : ابن عباس في زمانه والشعبي في زمانه والثوري في زمانه(٢) . وقال محمد بن يحيى عن محمد بن يوسف قال : كان سفيان الثوري يقول : فلان ضعيف وفلان قوي وفلان لا تأخذوا عنه(١) .

د ـ **وأما شعبة :** فقد أجمعوا على إمامته في الحديث وجلالته وتحريه وإتقانه واحتياطه . قال أحمد بن حنبل : كان شعبة أمة وحده في هذا الشأن يعني علم الحديث وأحوال الرواة(٢) .

وقال ابن مهدي : شعبة إمام في الحديث (٣) وكان سفيان يقول : شعبة أمير المؤمنين في الحديث(٤) وقال يحيى بن سعيد : كان شعبة أعلم الناس بالرجال . وقال عبد الرحمن : سمعت أبي يقول : إذا رأيت شعبة يحدث عن رجل فاعلم أنه ثقة إلا نفراً بأعيانهم . قيل لأبي : ألم يكن للثوري بصر بالحديث كبصر شعبة ؟ قال : كان الثوري قد غلب عليه شهوة الحديث وحفظه ، وكان شعبة أبصر بالحديث وبالرجال . وكان الثوري أحفظ وكان شعبة بصيراً بالحديث جداً فهماً كأنّه خُلق لهذا الشأن(٥) . وقال المنهال بن بحر : سمعت شعبة يقول : انظروا عمن تكتبون ، اكتبوا عن قرة بن خالد وسليمان بن المغيرة(٦) .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : قيل لشعبة : متى يترك حديث الرجال ؟ قال :

---

(١) تهذيب الأسماء جـ١/ق ١/ص ٣٣٣ .

(٢) تحذير الخواص/ ١١٥ ، ١١٦ .

(٣) تهذيب الأسماء ج ١/ق ١/ص ٢٤٥ .

(٤) مقلمة الجرح/ ١٢٦ .

(٥) مقلمة الجرح/ ١٢٩ .

(٦) المحدث الفاصل/ ٤٠٧ .

١ ـ إذا روى عن المعروفين ما لا يعرفه المعروفون فأكثر .

٢ ـ وإذا أكثر الغلط .

٣ ـ وإذا اتهم بالكذب .

٤ ـ وإذا روى حديث غلطٍ مجتمع عليه ، فلم يتهم نفسه ، طُرح حديثه وما كان غيره ذلك فارو عنه[1] .

**هـ ـ وأما يحيى بن سعيد القطان :** فقد اتفقوا على إمامته وجلالته ووفور حفظه وعلمه وصلاحه . قال أحمد بن حنبل : ما رأيت مثل يحيى بن القطان في كل أحواله .

وقال أيضاً : يحيى القطان ، إليه المنتهى في التثبت بالبصرة وهو أثبت من وكيع وابن مهدي وأبي نعيم ويزيد بن هارون[2] .

وقال عبد الرحمن بن مهدي : هو الذي مهد لأهل العراق رسم الحديث وأمعن في البحث عن الثقات وترك الضعفاء .

وقال أبو الوليد :[3] ما رأيت أحداً كان أعلم بالحديث ولا بالرجال من يحيى بن سعيد[4] .

وقال أبو بكر بن خلاد : قلت ليحيى بن سعيد القطان : أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله عز وجل ؟ قال لأن يكون هؤلاء خصمائي أحب إليّ من أن يكون النبي ﷺ خصمي ، يقول لي : لِمَ لم تذب الكذب عن حديثي[5] .

---

(١) المرجع السابق/ ٤١٠ .

(٢) تهذيب الأسماء ج ١/ق ١/ص ١٥٤ .

(٣) الطيالسي هشام بن عبد الملك البصري الحافظ أحد الأعلام ولد سنة ٣٣ هـ . وعاش أربعاً وتسعين سنة/ التذكرة ١/ ٣٤٦ .

(٤) كتاب المجروحين ١/ ٥٢ .

(٥) تحذير الخواص/ ١١٥ ـ ١١٦ .

و ـ **وأما عبد الرحمن بن مهدي :** فهو إمام أهل الحديث في عصره والمعول عليه في علوم الحديث ومعارفه . قال ابن المديني غير مرة : والله لو أخذت وحُلّفت بين الركن والمقام لحلفت بالله أني لم أر قط أعلم بالحديث من عبد الرحمن بن مهدي .

وقال ابن معين : ما رأيت رجلاً أثبت في الحديث من ابن مهدي . وقال ابن حنبل : كأنّ ابن مهدي خُلق للحديث ، وقال ابن المديني : جاء رجل إلى ابن مهدي فقال : يا أبا سعيد إنك تقول : هذا ضعيف ، وهذا قوي ، وهذا لا يصح فعمَّ تقول ذلك ؟ فقال ابن مهدي : لو أتيت الناقد فأريته دراهم فقال هذا جيد ، وهذا جيد ، وهذا ستوق ، وهذا بهرج ، أكنت تسأله عمَّ ذلك . أم تسلم الأمر إليه فقال : بل كنت أسلم الأمر إليه فقال ابن مهدي : هذا كذاك ، هذا بطول المجالسة والمناظرة والمذاكرة والعلم به[1] .

وقال ابن مهدي : المحدثون ثلاثة : رجل حافظ متقن . وهذا لا يختلف فيه ، وآخر يوهم والغالب على حديثه الصحة وهذا لا يترك حديثه والآخر يُوهم والغالب على حديثه الوهم فهذا متروك الحديث[2] .

## ٦ ـ ظهور التقعيدات العامة للنقد :

وقد أصبحت هذه الأقوال وأخرى أمثالها للأئمة الآخرين من هذه الطبقة بمثابة الشروط والتقعيدات العامة للجرح والتعديل . ومن هذه الأقوال قول سفيان الثوري : لا تأخذوا هذا العلم في الحلال والحرام إلا من الرؤساء المشهورين بالعلم الذين يعرفون الزيادة والنقصان ولا بأس ما سوى ذلك من المشايخ[3] .

(١) راجع تهذيب الأسماء جـ ١/ق ١/ص ٣٠٥.

(٢) المحدث الفاصل/٤٠٦ .

(٣) الكامل لابن عدي ٦٣ ـ ٦٨ .

**وقال عبد الله بن عون :** لا نكتب الحديث إلا ممن كان عندنا معروفاً بالطلب[1] .

**وقال الشافعي :** ويكون المحدث عالماً بالسنّة ، ثقة في دينه ، معروفاً بالصدق في حديثه ، عدلا في ما يحدث ، عالماً بما يحمل من معاني الحديث بعيداً عن الغلط ، أو يكون ممن يؤدي الحديث بحروفه كما سمعه لا يحدث على المعنى .

ويكون حافظاً إن حدث من حفظه حافظاً لكتابه إن حدث من كتابه : يُؤمَن أن يكون مدلساً ، يحدث عمن لقي بما لم يسمع أو يحدث عن النبي ﷺ بما يحدث الثقات بخلافه عنه ﷺ ويكون هكذا في حديثه حتى ينتهي بالحديث موصولا إلى النبي ﷺ .

وقال أيضاً : لا تقبل من مدلس حديثاً حتى يقول : سمعت أو حدثني ومن كثر تخليطه من المحدثين[2] .

وقال عبد الله بن المبارك : بيننا وبين القوم القوائم يعني الإسناد[3] .

وقال أبو إسحق إبراهيم بن عيسى الطالقاني : قلت لعبد الله بن المبارك يا أبا عبد الرحمن الحديث الذي جاء : إن من البرِّ بعد البرِّ أن تصلي لأبويك مع صلاتك وتصوم لهما مع صومك قال : فقال عبد الله : يا أبا إسحٰق عمن هذا ؟ قال : قلت هذا في حديث شهاب بن خراش . فقال ثقة ، عمن قال : قلت عن الحجاج بن دينار قال ثقة . عمن قال : قلت قال عن رسول الله ﷺ قال : يا أبا إسحٰق إن بين الحجاج بن دينار وبين النبي ﷺ مفاوز تنقطع فيها أعناق المطي[4] .

---

(١) المحدث الفاصل / ٤٠٥ .

(٢) المحدث الفاصل / ٤٠٤ ـ ٤٠٥ والرسالة مع اختلاف يسير في اللفظ ص ٣٧ .

(٣) مقدمة مسلم / ٨٨ .

(٤) المرجع السابق / ٨٩ .

وقال علي بن إبراهيم المروزي : سئل ابن المبارك عن العدل فقال : من كان فيه خمس خصال : يشهد الجماعة ولا يشرب هذا الشراب (النبيذ) ولا تكون في دينه خربة (وفي نسخة خزية) ولا يكذب ولا يكون في عقله شيء[1] .

فأنت ترى هذه الأقوال تشمل جُلّ القواعد الأساسية لجرح الرجال أو تعديلهم .

وهناك أقوال أخرى للأئمة الآخرين الذين يُعَدّون من الطبقة التي بعدها ولذلك لم نذكرها التزاماً بذكر رجال الطبقة التي تلت بعد التابعين ، وإلا فالحقيقة أنه لا يمكن وضع حد فاصل زمني بين صدور هذه الأقوال وظهور هذه الأسس من رجال هذه الطبقة والتي تليها .

وفي الجملة : هذه الشروط وأمثالها الأخرى هي التي أصبحت نبراساً لمن جاءوا بعدهم من المحدثين وأصبحت بمثابة الأصول والقواعد لهم . ثم ظهرت فروع وتفاصيل .

وبهذا تبين لنا الأسباب التأريخية لنشأة علم نقد الحديث والدواعي الدينية لتصدي الأئمة للكلام على الرجال بالجرح أو التعديل والبحث في إسناد الحديث والقيام بالرحلات المضنية في طلب الحديث وسماعه من الراوي الأصل والتثبت منه ثم عرضه على رواية غيره من أهل الحفظ والإتقان لقبوله إذا كان موافقاً ، أو رفضه إذا كان الأغلب على حديثه المخالفة .

**والله ولي التوفيق**

---

(١) الكفاية/باب الكلام في العدالة وأحكامها .